واربعماية ذكر وقعة نادرة قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة
لما استصفى نواحي الهند الى حيث لم تبلغه في الاسلام راية ولم تتلُ
بها قطّ سورة ولا آية فرحض عنها ادناس الشرك وفشع دونها
اغنا بثنى الكفر وبُنى فيها مساجد تقوم فيها عبادة الله بالاذان
الذي هو شعار الاسلام راى ان يطوى تلك الديار الى واسطة
الهند منتقما لله ممن يجحد توحيده ويضع لعبادة الانداد من دونه
تعالى خدّه وودّه ومحكّا فيه سيوفا طبعت على غرار الاسلام
وسقيت بماء الايمان وضنت في قراب دين الله وانتضيت
بايدي الاخيار الابرار من اولياء الله فندب الرجال ذوي الاموال
واخلص اليقين واستنصر الواحد المعين ونهض في الطم
والرم والتّبل المدد لهم وذلك في سنة اربع واربعماية وسار

أُخريات الخريف نفثةٌ بطيب الهواء من جانب الجنوب فانفق
عندما قتحامه تلك الديار ان سقطت ثلوج لم يعهد قبلها مثلها فسدت
مخارق تلك الجبال وسوّت بين الاباطح والبلاد وكلح وجه الهواء
كلوحاً اثّر في الحوافر والاخفاف فضلاً عن المحاسر والاطراف وضلّت
مهايع الطرق فلم تعرف المبادي من المياسر ولا المقادم من المآخر واضطرت
الحال الى الانعطاف الى ان ياذن الله ثانياً في الانصراف وكان سعي
حدّ محدود وامد من المقدور ممدود فاقبل السلطان على استتباب
العُدّة والعتاد واستكمال الميرة والازواد واستدعاء اعيان الغزاة
من اطراف البلاد حتى اذا تمّت العُدّة والعديد وباهى العقد
بانخراطه الفريد وتضامّ الناس كقزع السحاب الخريف من كلّ وجه
منثورا وعن كلّ اوب محثوثا ومحشورا واقبل الربيع بطيب المقيل

بطيب المقيل واعتدال برد الغداة والاصيل استخار الله تعالى
فى الرحيل وسار كالبحر الاخضر بضربه الاعاصير والامر الحتم تجنبه
المقادير فغدت وحوش الارض ماسورة وطيور الجو مقهورة ولو احست
الارض لرنت من ثقل الحديد والمشى الوئيد وحث الابطال فوق
القب القناديد وساق امامه الادلاء يهتدون اعماق تلك البلاد و
لا الشمس عليها طالعة والنجوم بينها مستقيمة وواجفة وحث
الركائب سهرين بين ابعاد عميقة الاغوار بعيدة ما بين الاقطار
ودواد تضل فى ارجائها اسراب العباقير وتحار فى دهنائها افواج
العصافير حتى اذا قارب المقصد عبى الخيول كتائب وسيرها
عصائب ورتبها كواكب وقسمها مناسر ومقانب ونصب اخاه الامير
نصر بن ناصر الدين فى الميمنة فى كماة الغواد وحماة الافراد وسلان الحادث

في الميسرة في البهم الذكور والبزل الفحول وجعل ابا عبد الله محمد
بن ابراهيم الطائي على المقدّمة في مساعير العرب احلاس الظهور
وابناء الصوارم الذكور ورتّب في القلب مع التونتاش وساير
خواصه وغلمان داره رجالا اذا اصطفّوا فالجبال الشواهق و
ان زحفوا فالسيول الدوافق ونذر بهم عدو الله ملك الهند ففزع
الى من حوله من كماة كتيبته واعيان جيوشه وناصريه ولجا الى
شعب جبل فجّ المدخل خشن المتوغّل صعب المرتقى والمتوقّل مستعصما
بالاحتجاز عن البراز وبالاحتراس من وقع الباس وسدّ شعف الجبلين
بفيلة له يراها الراؤون هضابا مبنية وبثّ النفير في اقطار مملكته
يستنهض من يحمل حجرا فضلا عمن يقيم القوس وترا ويحسن بالسيف
ازديادا في طول المطاولة كي يلتقي بقوة وافية وعدة متوافية

متوافيه ويلجي اولياء الله الى الاخلال من فرط الملال او النفور من

ضيق الصدور ولم يعلم ان الله من وراء المومنين وان الله موهن

كيد الكافرين ولما علم السلطان مقصوده من نيته في ارجاء

القتال وتاخير النزال دلف الى عدو الله بقلوب قد صقلها التوحيد

وشحذها الوعد وانذرها الوعيد ورماهم بالصيلم من رجاله

وبالشياطين من الافغانية المطاعين رجال كالاجبال مطوحة

بالنفوس مدلة للاعين الشوس او الليوث اخرجها الجوع واعياها

الى اشبالها الرجوع ينفذون في الاسداد نفوذ المثاقب في العيدان

او السادم في الحيطان ويفرعون الشواهق كالوعول وينزلون عنها

كمنحدر السيول وواصلها عليهم ايامًا تباعا يجذبهم بصدق القراع

الى البراز جذب النار للسليط والمغناطيس للحديد فكلما فارقوا

تلك المضايق التقطهم الفرسان كما تلتقط الاقواس بنادق ولم يزل

هذه حالهم حتى انضم الى العين اكثر من والاه ولباه معظم

من دعاه وعنده احتشد للبروز مستند الى الجبل ومن حوله

الاقيال كالقلل نحو المصاع واحتد القراع وحمى الوطيس واستوى

المرؤوس والرئيس وصار اللقاء كفاحاً فمن اخذ بالتلابيب

ومنا و كاليعاقيب ومضارب ما بين الرؤوس الى العراقيب وكلما

اسليت الغيلة للتهويل والتفخيم والحطم بالاطلاق والخراطيم مطر تها

سحائب الرايات ملتوية كالاراقم منسابة الى حدق العيون

اوثغر الحلاقم وراى الكافر موقع الى عبد الله الطائي من الغناء

وضراوته باسالة الدماء فانتحاه ما خشن من في حملته شوكة

واعظمهم نكاية حتى الختوه ضرباً على الهام وحطاً من خلف

خلف وقدام وهو كالحرون ثابت لا يميل يترف مقامه ولا يكل
دون الضرب بحسامه متسمحا بالروح في نصرة الدين وطاعة
رب العالمين ورأى السلطان التجاء الكفرة عليه فامده بكوكبة
من خواصه لاستخلاصه فاستنقذوه الى السلطان ممشوقا
بالسيوف منقوطا بالاسنة كالحروف وامر له بفيل يستريح الى
سعيه عن الم الجراح بجوارحه فصار علما له يتميز به عن اعيان
اهل عسكره ولم تزل الحرب على حالها حتى اهب الله تعالى
ريح النصر لاوليائه وادار دائرة السوء على اعدائه فاخذتهم
سيوف الحق فبثتهم من كل اصار ومنعطف واد ومدخل
ومغار ومعتسف ومناد وملكت عليهم الفيلة التي عدوها
حصونا وافيه فصارت عليهم عافية بافيه وافاء الله تعالى

على السلطان واوليائه غنايم رخصت الصدود عن ذي الحسد

لاشتراك الكافة في الغنى المقصود واستوائهم في كفاية الموجود و

فتح الله تعالى ناردين فتحا طرز به شعار الاسلام اذ لم تبلغه رايات الحق

من لدن عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى زمان السلطان

يمين الدولة وامين الملة عز نصره كتب الله له على يده وصنعا اتاح الله

له التوفيق والتيسير من عنده ووجد في بيت وثن عظيم حجر منقور

دلت كتابته على انه مبنى منذ اربعين الف سنة فقضى السلطان

من جهل القوم عجبا اذ كان اهل الشريعة الغراء والحق المنزل من السماء

على ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ونحن منها في الالف الآخر وكما

تشاهدت به الاخبار من امارات الساعة موجودة وبابصار العيون

وبصائر القلوب مشهودة واستفتى فيه اعيان العلماء فكل اجمع

اجمع على انكار ذلك النفوذ وعلى توسف مثلها من شهادات الصحور

وعاد السلطان وراءه بتلك الغنايم العظيمة فكاد عدد الارقاء

من العبيد والاماء يزيد على عدد الدهماء ورخصت فيهم المماليك

فصادت ارباب المهن الخاملة فضلا عمن فوقهم من السوقية

يعتقدون عدة من تلك الوفقة ذلك فضل الله الذي اعز به الدين

واذل به الحساد والملحدين والحمد لله رب العالمين ذكر وقعة تانيسر

قد كان انهى الى السلطان ان بناحية تانيسر فيلة من جنس فيلة

الصيلمان الموصوفة في الحروب وان صاحبها غال بها في الكفر والجحود

غير الجهد في الطغوى والطغيان والعنود وانه محتاج الى ذوقه

من كاسه وحرقة من جمرات باسه ليعلم ان عز الاسلام عام

وان له من سطوة الله سهما كما للسنا بوا فيال الهند سهام فغزو السلطان

على غزوة دالية يرفع بها راية الاسلام وننسخ معها ولاية الاصنام

ويدع الكفر عليها محبوب الغارب والسنام وساد في اولياء الله الذين

قد نشئوا على الفراغ نشاء الاطفال على الرضاع وصرفوا دماء الكفار

ضراوة الصقور سغبات الاطيار وقطع الى المذكور اودية لم تقطعها

غير طائر او حيوان عابر وخرق سياسب لم يطأها رجل ماش

ولا نعل حافر وجهدهم في تلك القفار علالات الشفاه وبلالات

الافواه فضلا عن سائر الاقوات حتى صنع الله لهم بان يدنوا منها

الى قضاء نقيضي الى ناحية المقصود دونه نهر ضحضاب ارضه طراب

وصفاح كظبي السيوف حداد فنفى نشاطه سنغب حبل قد استند

اليه الكافر مستظهرا لقبوله بمتكثرا بابناء رجاله وخيوله فاحال

السلطان لقتال عسكره في محاذاة النهر الى اعداء الله الكفرة

الكفرة الفجرة حتى عبروه من طريقين اشغلوهم بالباس من كلا
الجانبين ومهما حذ الكفاح بين الفريقين امر السلطان نحمله على الكفار
فى مخاضات النهر الهاهل والماء الضحضح السائل توعجهم عن طرف الساحل
وتقحمهم اسنداق تلك الشعاب والمداخل واشتد الحرب ضربا بالخناجر
فى الحناجر وبالعواضب فى المناكب واولياء الله فى كل حال ظاهرون
والكافرون هم الصاغرون الداخرون حتى اذا كاد يبهرهم شباب
النهار حمل المسلمون من جميع الجهات حملة اوحرت بهم لهوات
تلك المخارم مضطرين فخلفوا الفيلة التى كانوا معترين بها وتبعها اولياء الله
يردون الاعظم كالاعظم منها الى موقف السلطان فلم نعنيهم الاما حذ به
فى الهرب اوضاق دون اقتناصه مجال الطلب وصب من دماء اولئك
الارجاس الانجاس ما لحبس به النهر الجارى على طهارته وامتنع

عن الشرب على غزارته ولولا ان الليل سترهم لاستلحم القتل اكثرهم

صنعا من الله لدين بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الذي

ارتضى مظهرا له على الدين كله ولو كره المشركون فهو على الازدياد الى يوم

التناد وانصرف السلطان باولياء الله غانما موفورا وظاهرا منصورا

ومحمودا كاسمه ماجدا وقد غنم ما تكل عن ذكره انامل التحرير وتجز

عن انابة ادراج الاضابير وتطايرت البشاير به في الافاق وخفقت

عليها اجنحة الغروب والاشراق والحمد لله رب العالمين على غزو الاسلام

والمسلمين ذكر الوزير ابي العباس الفضل بن احمد الاسفرائني

ما انتهت اليه حاله الى ان مضى لسبيله قد كان الوزير ابو العباس

الفضل بن احمد من خاصة فايق الملقب كان بعميد الدولة من كفاة

بابه وثقاة اصحابه وكان على البريد بمرو ايام سلارية السلطان

السلطان نيسابور فنمى الى ناصر الدين سبكتكين خبر نفرته ولمانة

فكتب الى الرضى يستوهبه لوزارة السلطان وكفاية اعماله وتدبير امور

امواله ورجاله فاوجب اجابته الى ملتمسه وخوطب بالبداد

الى نيسابور على مقتضى مثاله فاعتمده السلطان للوزارة واستكفاه

مهمات الامارة بعد ان كان نزي مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة

ابي القاسم احمد بن الحسن الميمندي في الكفاية كتابة وحسابة واصالة

واصابة وهداية ودراية وحماية وجباية ولم يكن على طراءة سنّه

بين لداته اغنى منه غناء وامضى مضاء واذكى ذكاء واوهى دهاء

غير ان الامير سبكتكين حنق عليه في ابيه عند اعتماده لوزارة

نسبت وتدبير اعمالها واموالها خيانة سيوف السيف فيها العدل الصعاد

منه الى عداته فيما نشقوا فيه من دفيعة ولفقوه عليه من جميله

دوقيعه فاستوحشت منه استيحاشا من بادرة فعله والمنبئ

نفور القلوب عن الاساءة ضوء وكره السلطان الاستبداد على اسيه

فى انتصابه حسب ارتضائه واستكفائه وفاق الجنود من وفائه طاعته

له فى اختياره واتباعا لفلك رانه تحت مداره وقضى الله ان يكون

ماتليه حتى يعترف خراسان بانه غذيته المرتجب وجذيلة المحكك

يتتبع ما افسده الغير بالاستصلاح ويستدرك ما اخرجته ايدى

الاحتياج ويداوى كل داء يدابه ويبرد غايبه الماء الى نجابه فاجرى الوزير

ابو العباس الامور مجاريها على جملة لم يعرف فيها غير الجباية والاستبداد

وقصد النوق ترددون الاستعاد حتى حبى مالا عظيما سنين عدة

اذ كانت خراسان بعد مكسوعة باغبارها لم تترف منها ودعى اللبن

ولم يتنزع عنها كواسى السمن فلما احتلبها انتزافا واستنفد ما فى ضرعها

في ضروعها اسرافا ومن قبل ما قد حال بينهما وبين خضب المراتع
وبرد الموارد والمشارع وضعت له ما على ظهورها من فضول وسم
وسمحت بما وراء عظامها من نقى مقيم حتى صارت قوط الهزال
والعجف كالاهلة المحنية بل الاخلة المبرية ونادى بالجراب معظم
الضياع ووقفت الغنى بين القصور والانقطاع ونشر في البلاد الكثر
الاكرة والذداع فعندها اخذ الحادثين بالحادث والزم القادر مونة القادر
حتى تمت البلوى وعمت الشكوى وشملت نوائب البوس وذهب
حرايب النفوس وصدمتهم سنة القحط بعقبها فصار الغنى محسورا
والمتوسط مفقورا والفقير مقبورا وكان امر الله قدرا مقدورا وابتت
في رقاب خراسان بقايا كل متعذر ومتكسر ونار ومتحير لو اذهب
عن آخر فقرة منها لم يف ببعضها فضلا عما جمعته اقلام الاستيفاء

منها فاظهر السلطان ضجرا من حمل الاموال وتراجع الارتفاعات وطالب

الوزير منها بما اقتطعه واواه وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة من

البراءة والاحالة فمهما عضه العتب بنقابه اظهر الاستعفاء وجلب

الى نفسه البلاء واسلم النفس اختيارا وآثر الحبس قرارا وتوسط

الملاء بينه وبين السلطان على ان يجبر بعض المنكر من خاص ماله

بما استفضله طول وزارته من مرافق اعماله فابى ان ينزل عن درهم

الا بعزله وحبسه الى شاء من قلاعه ضجيع التبرم بالعمل المتنغض

بالامل ليستعمل سليه المخلات المبنيه واختار عند ذلك السلطان

الدهقان ابا اسحق محمد بن الحسين وهو اذ ذاك ذليس مج

بصحابة الديوان واستنطاق البقايا على العمال والسكان

فانتصبه اليها سنة احدى واربعمائة فانحدر الى هراة وجبى من

من الاموال بادرت عليه اخلافه ولانت على المس اعطافه
ولم يلبث الا يسيرا حتى حمل حملا كثيرا والوزير ابو العباس بعد في
صدر الوزارة والشيخ الجليل ابو القاسم احمد بن الحسن يسعى
بينه وبين السلطان على سبيل السفارة ويروم استصلاحه اياه كي
يشتد به مكانه ويستند الى عرض الاستقامة شانه وهو يابى
سوى اللجاج في القاء القول عن حدة المزاج حكما من الله عليه لم
يسع عليه رده وقضاء سابقا عيا العالمين صده وما زال هذه
حاله لزوما للصدد على ما به من ضعفة القدر الى ان نكب بنفسه الى
قلعة غزنة مستترا وخائفا من عمه الى الاعتقال عما تولاه ومتسمحا الحملة
ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلا يشتري الحبس اختيارا
ويستقبل الزمان بداءه وغاذ الناس ما اتاه فاستبد له الحظ

بغرامة ما خباه على امواله ورعاياه فبذل خطه بمائة الف دينار
ثم لم يزل يستدره الى ان عرض حال الفاقه وعدم الطاقه ثم استحلفه
السلطان بحيوة راسه على ظاهر افلاسه وعلى اعلاق دمه وحبه
على الطلب له مالا متفرقا ومجتمعا مدفونا ومستودعا وبقي
على جملته بشابه اولاده معفى عن الارهاق والتعنيف مصونا
عن التحايل والتكليف الا ان ظهر على ما ذكر مال عند بعض التجار ببلخ
ودبعة فاخذوه وامر بوضع الرهق عليه لاستصفائه واستخراج
ما وقاه بنفسه ودمائه وما بقى من رمق جاهه وماله واتفقت
للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة حاله واستبراء ما
يصدق او يكذب من مقاله وارهق بسببه على الروم وسال صنيه نوما
يوم حتى اتاه اجله ولحق به ما كان يستعجله وذلك في سنة اربع

اربع واربعماية ولما عاد السلطان ورا ء د سا ء ه ما سمع به وهيهات
اين من المساء ة روح مطموسة نفيس وبين اطباق الثرى مرهوسة لكن
من آثر الخلق على الخالق ولم يعتبر بالماضين فى الزمن السابق وقد كان
ادرك له ولد فى صدر وزارته يعرف بابى القاسم محمد بن الفضل فبرع
على صيغة الشباب فى وجوه الفضايل والاداب حتى استطار ذكره
واستطال عذره واستفاض نظمه ونثره فمن شعره قوله فى ابيه
من قصيدة شعر لقد ادبى ابو العباس جودا على جود الربيع لمعتفيه
ففى احدى يديه ممات قوم وفى الاخرى الحيوة المرتجيه لقد خضعت
لك الدنيا ودانت فهل مرتقى سواه فترتقيه واقبل خولك الاقبال
حتى غدا بصر وانت النور فيه فنوذ الف نبروز سعيد دفيع الجد
فى عيش رفيه وله احجية شعر وذلجية قادت الى القوم نضبة لسبكحها

من كان يعتيقها اقدما فقام اليها واحدٌ بعد واحدٍ ولم يزد بنا

فعلهم الا ولا ذمًّا وادركته حرفة الادب فاختطفته يد المنية

نصرها كان عوذًا لو اننته عمودا وابهره سعودا واحمد ه قيا ما

وحكى لي بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم يروي ابياتا تلقنها في

المنام وهي شعر ادى الدنيا وزخرفها ككاس تدور على ناس

من اناس فلا تبقى على احد كما لا يدوم بقاؤها في كف حاس سل حفظ

عهده ما دمتُ حيًّا وحفظ العهد من كرم النحاس فتطير به ولما

قضى نحبه ذكر ابو الحسن الموصلي الكاتب ابياتا فيه وهي شعر العبد

محمد بن الفضل ارجوا اما نالي من الدهر الغماس اساس الفضل

كان به فاودى وابقى الفضل منهد الاساس فتى في نثره والنظم

اوفى بن توابة وابي نواس راى في النوم معجزة حزير نفيصرح وردها

دوودها وابو فراس ورثاه بعض اهل العصر فقال شعر يا عين جودي
بدم ساجم على الفتى الحرّ ابى القاسم قد كاد ان يهد منى فقده لولا التسلى
بابى القاسم وشدّ الله مكان الماضين بابى الحسن على بن الفضل المعروف
بالحجاج بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوره
وجود سوكل بانشاد آمال الاحرار طوره فتى السن فى حصافه
الكهول جبان الرأى فى شجاعة السيول ادهم الباس فى غرة السحاحر
قدم الحيا فى ذلق الفصاحة نُدِبَ لاعمال الحوزجان فدبّرت
على السياس ولاية ونقل الى اعمال نسا فضاقت عن فضه اكنافه
يصون المال صيانة عرضه عما يصيد به ويحيى آمال الحياء ه
لشرف ابيه ويميت بدع الرسول امانة ذكر اباديه شعر يسمو الرجال
باباء واوته يسمو الرجال بابناء وتزدان كم من اب قد علا

بابن ذري شرف كما على برسول الله عمدنان ذكر وزارة الشيخ الجليل

شمس الكفاة ابي القاسم احمد بن الحسن قد كان الشيخ الجليل ابو القاسم

يلي ديوان الرسايل للسلطان ايام سلامته بنيسابور وهو الكريم

نسبا والعظيم حسبا والعريق مجدا وحرية والوثيق رايا ورويّة

ينادي عليه اقطار الارض بفصاحة القلم وسماحة الشيم ونفاسة

الهمم واحتقار الدينار والدرهم ودرجه السلطان على تصاريف

الاحوال به الى ان ولاه عرض عساكره في اقطار ممالكه وزاده اعمال لبست

والزنج معها ولاها باموالها وارتفاعاتها عدادة على ما ولاه فقام لجميع

ما تولاه قيام من وفقه الله وحدا عليه جوده بني الامال من اطراف

البلاد ذو سعهم حدواه وعمرهم نداه وكتبت لهم امانا من الفقر داره

فاما مروته فما يومن بالمعجزة الصادقة الصادعة منها الا من شاهدها

شاهدها عيانا واستقصى عدول الحساب عليها سبرا وامتحانا وكان
الوزير ابو العباس لا يصدر الا عن رايه ولا يجشم عبره في تصاريف
عزماته والجانه لتحامة شانه ومكانه المعمورة من سلطانه ووساطته
بينهما في معظم ما يرجيه ويزجيه ويحسمه ويبقيه ويبديه ويباشه
ويقدره ويقربه ولما وهت عليه قوة امره وانكسرت سورة جمره
واتفق للسلطان ان يرحل نحو ناردين في الغزوة التي تقدم ذكرها
استخلف الشيخ الجليل الوزير ابا القاسم على مهمات بابه وامداه
صاحب الديوان فيما يليه ويجبيه بصواب رايه ذرعته على
مواصلة الخمول عن فرط حداه وعنائه فهو متسم بالوزارة غير
متسم بها الى ان اتفق للسلطان استدعاء صاحب ديوان في
عمال خراسان لرفع الحسابات وتقرير المعاملات وذلك في

شهور سنة سبع واربعماية فنهض اليه كل رئيس ومرؤس وشريف

مشروف ومستعمل ومعزول وسمين ومهزول قد اتخذوا الطعم

والغمض حراما ووضعوا الارواح على الراح توكلا واستسلاما ووافق

وصولهم زلفة عزمها السلطان الى الهند فسبّ عليهم لا ذناب

اهل عسكره ما داه ووكّلهم باستخراجه فى مدّة يومين

لا همام الركض وضيق رقعة الوقت فغصروا غصب السلم وسلخوا

سلخ الغنم واقيموا على جمر الضّرم ونكسوا على الهام والقمم حتى اعتصرها

منهم عن تضاعف اللحم والدم وعندها صبّ السلطان على الشيخ

الجليل خلعة الوزارة وفوّض اليه مهمات الامارة وامره بمحاسبات

العمّال ومطالباتهم بما صار فى ايديهم من الاموال محكّما فى الحلّ

والعقد مخيرا بين الاخذ والرّدّ وسار السلطان نحو مقصده

مقصده واقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده فهذّب الامور ونظم
المنثور ووظّف الاموال وصرّف العمال وردّ صاحب الديوان ابا اسحق علي
حملته الى خراسان مستوفيا عليهم ما يلزمهم حاصل وباق وعتيق وناض
وقعد في الدست كالبدر المنير والسيف الشهير متفرّدا بالتدبير
محتشدا لروعة الملك وهيبة السرير فلمّا اتفق عود السلطان الى وزارة
عزّه وشاهد الامور في كنف وزارته منظومة العقود مضبوطة الحدود
والاموال وافرة الربوع حافلة الضروع رسم له بان ينهض الى خراسان مستنظفا
ما وهي او وهن من جهة صاحب الديوان في جبايته واستيفائه
وقصر او قصّر عن نهضه وامترائه فانحدر الى هراة وهيبته تاخذ
النفوس بمخنقها وتختلج القلوب عن معلّقها ويكاد ينطق له كل مال مخزون
ويلفظ الله كل درهم مدفون فجمع عن تسمّح النفوس بما جمعته

واستنكرا عنها عما منعته مما لم يسمع بمثله محمولا من خراسان

اذهابا واوراقا وعصبا وفاقا وعلما انا دونا فاقا ووجوه المطامع منساقة

السلطان بتصحيحها تسبيبا وحملا الى بيت المال قويا فاعتزل العمل

ونزل عن كلما حصل وفزع من بعد الى خاص املاكه وضياعه وسوا شيه

وكراعه وحمله واثاثه حتى حلى ابنائه تحلل ما اعتقده على مال مصادرته

وما جمع عليه من بقايا عمله وكان الوزير ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة

لم يعن بها في سالف الايام ولم يرض بيانه بخدمة الاقلام فانقلبت

المخاطبات مدة ايامه الى الفارسية حتى كسدت سوق البيان

وبارت بضاعة الاجادة والاحسان واستوت درجات العجزة

بالكفاة والتقى الفاضل والمفضول على خطة الموازاة فلما اسعدت

الوزارة بالشيخ الجليل العميد ابى القاسم اسعده الله واسعد به

واسعد به جدود الافاضل وورد بمكانه حدود الفضايل دفع
الوية الكتاب وعمر افنية الاداب فجزم على او شحه دواوينها ان تنكتبوا
الفارسية الا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه وعجزه عن فهم
ما تعرب به عليه فطارت توقيعاته فى البلاد والامثال
وابيات المعانى من القصايد الطوال ففى بذ نداء بالحاقها وفى كل مشهد
سفادة باستحسانها فاما الشعر فقد نشر عليه ملحوده وسعد به
جدوده وفتق بالعذب الرواء منجوجه فادوابه كالعناديب نغرها
لمناقبه والتمادهى تشجيعا على الضرب الماذى من ضرائبه فهو بعد له
فى الناس غيات ورحمة وبفضله لاهله الفضل ثمال وعصمه
وانفرح بتد بير العباد والبلاد وبناء على الاساس وحلبا على الابساس
واخافة مع الايمان ومكافاة بالاساءة والاحسان واسو الجراح

القلوب بمراهم الترغيب وانكادا المعروف العمادة سابق التجريب واشارة

على السلطان في امور مملكته بما يعتقده من عاجل التوفير وآجل الثواب

الغزير لا جرم انه استتبت الامور بغيابه وانسدت الثغور على آرائه

وكذلك من كان على العلم ايراده واصداره وعلى البصيرة ايحاؤه وابداؤه

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وما ختم به اجله وانتصاب ابنه

فلك المعالي ابي المنصور منوجهر منصبه ووراثة مملكته قد كان

ذلك الامير على ما خص به من المناقب والآراء المصيبة بالعواقب

والمجد المنيف على النجم الثاقب مُرّ السياسة لا يستساغ كاسه ولا يؤمن

مجال سطوته وباسه يقابل زلة القدم باراقة الدم ولا يعرف في ادنى

درجات العثار وان لم يقصد اليه مرادا ولم يستزل في كسبه اعتقاد

غير حز الانتقام حد الحسام والتفليق عن مركب الهام لا يذكر العفو

العفو عند الغضب ولا يعرف معنى السوط والخشب ولا يرى الحبس
الا ما بين الصفايح والترب وهلك على خشونة هذا المس وصعوبة
هذا البطش فتبام من حاشيته لو استبقاهم على خفة احرامهم
لكان اشبه بالجلالة واليق بالاصالة والعدالة فما زالت هذه حاله
حتى انقلبت القلوب عنه واستوحشت النفوس منه وسنحت
الصدود عليه ومالت عنه الاهواء المايلة اليه اذ كان كل احد لا يا من
العثرة ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب ملحقا بالخطا اليسير
صارت النفوس مجتاحة والارواح مستباحة والمرء من البشر لا من
ورق الشجر فهو اذا مات فقد فات وليس مما يعود بعد ما عرى
العود واتفق ان حاجبا له كان يعرف بحاجب نعيم وهو احد الكرا كله
فى حد ودجرجان عديم الغايلة والعادية سليم الناحية من بين

افناء الحاشية وكان اعتمده بضبط استراباد وسياستها ودفع

عليه انه طمع في بعض رعاياها في منال او مال الى الانتفاع منه بمال

فامر بقتله وتعليقه عن حبل رقبته وهو يستغيث ببراءة ساحته

ونقاء جيبه وراحته وقصور ما سعى عليه لو صح استناده عن افاتة

نفسه واراقة دمه فزاد قتله في اغار الصدور واضغان القلوب وتوامر

عند ذلك اعيان العسكر على خلعه ونزع الايدي عن طاعته وكفاية النفوس

شغلها بثقل وطاته وخشونة سياسته ووافق هذا التدبير منهم

غيبته عن جرجان الى العسكر لحنابذ استبدادا لهوائها عن لفح الحرور

عند طلوع الشعرى العبور فعمي عليه وجه الصورة وسترت عنه

علم تلك المشورة فلم يرعه ذات ليلة غير ازدحام العسكر بباب القلعة

التي اعتصم بها وانتهابهم امواله وافراسه وبغاله ومراكبهم فسرح وا ستنزله

واستنزاله قهرا في وجوههم من كانوا نزاعا لانقيادهم محلفين من دونه
حتى انكشفوا عنه صاغرين وولوا على ادبارهم داخرين ومالوا الى
جرجان فتملكوها عليه معلنين بشعار العصيان لابسين غيار الكفران
وبعثوا الى منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه على الورود
لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب مستعظما
للحوادث ما بابيه واكبارا لما نفذ من المكيدة فيه وطمعا في
تدارك الخطب وتلافيه فلما دنا منهم مضربه تواقفوا على طاعته
ان خلع اباه وامتزاده رداء الملك اذ اباه فلم يجد في عاجل الحال
غير المداراة ضبطا لما انتشر ورتقا على ما انفتق وصونا للستر المحتشم
من الانخراق وابقاء على سكر الفساد من الانبثاق وخوفا على الملك
من التخطف والانتزاع واشفاقا على بيته من الضياع وقد كان

شمس المعالي لمّا سمع بنبأ القوم واجتماع كلمتهم على الخلع بما ومن
يومن معه من رجال ومال الى ناحية بسطام ناظرا ما يسفر عنه
عاقبة التحزّب وينتهي اليه نائرة التغلّب والتوثّب فلمّا تسامعوا
بنبائه استنكروا الامير منوچهر على قصده وازعاجه عن
مكانه اورده فسار معهم اليه مضطرّا ودافعا بالشر شهرا
كالجمل الانف قيد انقاد وان اُنيخ على صخرة استناخ فلما وصل
الى ابيه اذن له دون من يليه من اتباعه وحواشيه اذ قام دونهم
من خاصّته رجال يرون الموت شهدًا دون خذلانه والروح وقفا
على شكر احسانه فلما وصل اليه كفّر طاعة وخضوعا واسال الودنه
الشئون دموعا وتشاكيا صورة الحادث وتذاكرا حقّي المورث والوارث
وعرض الامير منوچهر ان يكون حجابا بينه وبين اعاديه وان ذهبت نفسه

نفسه فيه دراى شمس المعالى ان العارض قصادى امره وختام
عمره وانه احق بوراثة ملكه وولاية الامر من بعده وسلّم خاتم الملك
الله من يده واستوصاه بالخيرية ما دام فى فسحة من امره وتواضعا
على ان ينتقل هو الى قلعة جناشك متفرغا للعبادة الى ان يانيه
يقينه فسلّم له نفسه مونته وان ينفرد الامير منوجهر بتقرير الملك
قربا و نقديرا وتقديما وتاخيرا وقد مدّت اليه عمادية على هذه الجملة
فانتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته على الحزم
مصلحته وعطف الامير منوجهر الى جرجان فولى الصدر وضبط
الامر واخذ يدارى القوم ترغيبا وتطميعا ويمنّيهم الاحسان جميعا
وهم على حملة النفور خيفة الشرور ما دام شمس المعالى فى فسحة البقاء
وزمرة الاحياء وما زالوا فى الاحتيال عليه حتّى فرغوا عن امره وسلّوا

كما زعموا عن عادية شره ولم يرضوا به وهو في صوان الاهواة حتى

كشفوا عن محياه رداء رداه فطابوا نفوسا حين عدموا فابوسا

وواذوه في مقبرة كان ابتناها لنفسه بظاهر جرجان على سمت

خراسان وغدا الناس في معناه كما قال المهلهل شعر نبئت ان النار

بعدك اوقدت واستنب بعدك يا كليب المجلس وتقاوضوا

في كل امر عظيمة لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا وعقد الامير

منوچهر لها تم ثلثة ايام على رسم الجليل في حسر الرؤس وضرب

النفوس ورفض المنام وهجر الطعام ولما قضى ايام المعزى نشر القعود

واستونف على السعة السرور شعر كان لم يكن بين الحجون الى الصفا

انيس ولم يسمر بمكة سامر ولما سمع القادر بالله خبر شمس المعالي

واستشبتا رقضاء الله تعالى به خاطب الامير منوچهر معزيا ومسليا

ومستلبًا ولقبه لفلك المعالي متشرفًا ومتجليًا وعزم الله له على الصواب
فى اختياره والرشد فى ايثاره ففزع الى السلطان معتصمًا بحبله
معتصرًا ظله مستظهرًا بطاعته منتصرًا فى متابعته مستغشيًا
رداء عنايته متلافيًا وهن المصاب بقوة اشباله ودعايته وانهض
عدة من ثقاته بابه بهدايا موفورة ونفايس مذخورة ورسايل على
صدق الاخلاص وصفوة الاختصاص مقصورة فصادف ما رجاه
رغبة فى موالاته وحرصًا على تقمص مرضاته وتردد السفراء بينهما
على رعاية هذه الحال وتوكيد عقدة الوصال واحتكم السلطان
عليه فى اقامة الخطبة له على منابر ولاياته وامتحانا لمصدوقة
عقدته فى موالاته وانهض اليه ابا محمد الحسن بن مهران احد ثقاته
بما داى اصحابه من نفايس خلع وكراماته فصادف منه قريبا

مجيبا وسميعا مطيعا وامرنا باقامة الدعوة باسمه على منابر جرجان

وطبرستان وقومس والدامغان والتزم في السنة خمسين الف

دينار اتاوة على عكمي الطاعة والاخلاص علاوة واستند على السلطان

على نفسه ذلك وقد عزم على غزوة نادابن اتخاذ حشمه لطائفة

من الجيل والديلم يحسبون حروب المضايق ويغيرون غناء الكماة

البطارق فسرب اليه الفى رجل من خلص الجيل ان نابوا الوعول

نوعول او قصد والسيول فسيول وقد امرنا باحة عللهم في

اعطياتهم ونصبهم من يقوم ادد حاجاتهم ويطلق لهم مدة الحاجة

الى غنائهم ولحب ارزاقهم واستحقاقاتهم فلما استحق على السلطان

باتاده في القربة بمزيد المرتبة ولمساعيه في الطاعة قضاء الحاجة

الهض رئيس جرجان ابا سعيد الجولكي المقدم فضلا وادبا المحتشم

المحتشم حسباً ونسباً لاقتضاء ضرب الحال بوصلة تقوم مقام الكفاءة
لخطبتها عنه والطاعة باستجابها له فنهض في خفارة الادب بهدية
وكفالة الوفق بمايذده ويأتيه ولم يزل يأتي الامر من بابه ويستطلع المراد
من حجابه حتى استحثت ترونة السلطان لما استدعاه واوجب
الاسعاف بما توخاه ولما الكفاء الفاضل ابو سعيد الجولكي وراء
بصيرة الايجاب وما صادفه من ذهرة الحد لا طلاب حشمه
الامير فلك المعالي سعا وده الحضرة مع القاضي بجرجان وهو
شيخ العلم وراوية الحديث وضيع اخلاف التدرب والتجرب
لتنجز النجاح وتأديب عقدة النكاح فنهضا الى حضرة السلطان
مقتبين رسم الخدمة وخاطبين ضم السري الى اللحمة فراى السلطان
لحقيق مبذول العدة وعصيان سلطان النفس طاعة لرب العزة

وقلد الامير فلك المعالی فلذة من كبده وسمح له بالزهرة الغراء

من نجوم ولده وانی نجم كان فی فلك المعالی مدا ره لم يستعد داره

انی ومدار النجوم الافلاك وازواج المكلات الاملاك وجری

من الاستبشار باتحاد النفوس والديار وصب الثنا وصوب المبار

كالغيوث الغزار ما ارخ به كتاب الدهر ورسم بذكره سالفة العصر

وعاد الرسولان يدهان النجم الموقوت ولا السعدان يقترنان فی الحوت

وعندها تكلف الامير فلك المعالی حرمة للقربی وخلة من بين

النجوی لا تبين من راه علی الاختلاف اصنافه اعراق نفوسه

وانواعه ان له همة الی تمه بالجوزاء مرفوعة ونية علی صدق

الولاء مطبوعة ولم يبق احد من اركان الدولة وحواشيها والذين

حول مراعيها من لم يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يستنزل

فلم يشترك في البر المعقود بالشرف لا جرم ان السلطان رعى حرمة قرباه
عما سمحت به نعماه وافرد كلا منه من وجوه فوائد حبوته وافراد حاله
بخلع علمت اجانب الملوك كيف شريطة الجود والسماحة بالموجود
وتقضي الحمد بعفو الراي دون المجهود فاما صاحب جزرة الصدف
وياقوتة الشرف فمال طال عهد الدهر بمثله مجموعا في سكان محمولة
من خراسان ولا غرو فالشمس تغير البدر نورا والبحر يمد الخليج
مسجورا وقد كان الامير فلك المعالي بعد ان استتب له امره
لكن
واشتد بمظاهرة السلطان ظهره وتر على اعيان عسكره المتهمة
في دم ابيه فصدع ذات بينهم بوجوه الحيل وانواع العلل حتى اتى
حضراتهم وسقى ظماء الارض دماءهم والحسن ابن خركاش
وهو القريب العاق والنسيب للمشاق بالداهية الدهياء فاستكل

تأبّها بين سمع الارض وبصرها نابّاه الرعان والاباطح وتلفظه
القيعان والصحاصح فمهما مسّ جانبا لقراره طلبته هامة الماضي
بالنار فنام على وجهه ولا فقيد تقذيف بين تشريق وتغريب
وتصعيد وتصويب وكان عهد من انار ذلك الشان لشتر على شمس المعالي
على ما تساندت به الاخبار ابو القاسم الجعدي وكان صاحب
جيشه فاخذه الى راس الحد كناد على قفاء يرى كل صيحة عليه
وكلّ حسيس لسبهم انواس جيديه فامهله الامير فلك المعالي
زمانا حتى ظن ان له دون شؤون الآخرين شانا ثم اطباه
بترغيبه وتطميعه حتى اعلقه حبالة الاقتناص وآيسه من
الطمع في الخلاص وان لله حكما في امور عباده معلّقا باماد معلومة
وغايات محدودة فليس قبلها مستقدم لما تاجل ولا بعدها

٢٦٩

بعدها مستأخر لما يتحلل فاحتال ابو القاسم حتى انسل هاربا

واعتسف السند جانبا ثم جانبا وما زال على حاله واحتياله حتى

ورد تفليسا بودنيطن وبعض الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان على

تفل وداخله دار نقاية بتبالف فعله وقابله مع ما تمهد في ذات البين

من عقود وتاكد من عهود واشترك فيه من طارف ومتلود

لحل عنه عقال اثامه ويكف عنه ما حق عليه من باس الله تعالى

وانتقامه كلا ان سوء الفعل خذول والقاتل لا محالة مقتول

وشر المحن ما اومض بالخلاص قبل الابانة واستيفاء مدتها المفتح على

بحرانه انه ليوهم انفكاك ثم يعقب الهلاك كالهرة تطمع الفارة في

الخلاص حتى اذا كانت منها على علوة خفتها بعدوة لا جرم

ان السلطان لما انهى اليه صورة حاله ومن قبل ما سمع بسوء فعاله

امر برده وداءه في عقاله ولقد احسن ابن الرومي في مقاله حيث

قال شعر الخير مصنوع لصاحبه فمتى فعلت الخير اعقبكا والشر مفعول

بفاعله فمتى فعلت الشر اعطبكا ذكر دارا ابن شمس المعالي وما انتهى

اليه امره قد كان دارا ابن شمس المعالي بعد استيحاشه من جانب

ابي علي محمد بن محمد بن سيمجور الى الامير نوح بن منصور الرضي مقيما على

خدمته سهيما في نعمته الى ان فتح الله على ابيه جرجان وطبرستان

فانحاز اليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره وصادف من الاهل شمائل

والاقبال ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم حده شمس المعالي الى

طبرستان فاقام بها سدادا دون مخالفيه وزماما على اوليائه ومعامليه

ثم استنهضه منها على فرقة القيت اليه فاتاه وهو باستراباد بريه

صليحة اديمه واستواء حديثه لقديمه فاحسن استقباله واستنزاله

واستنزاله ثم دعاه في وقت ارتاب به فركب على قصد مجلسه ثم عطف
عطفة الليث الخادر نحو خراسان بين غياض نشكو الا وائم سبلها ضيق
المجال والمضطرب وصعوبة المنساب والمسرب واستصحب من
رافقه ووافقه من غلمانه واهل الثقة فالى ان عرف شمس المعالي
خبره واستدرك لاقتناصه عسكره ما قد طار به الركض وحال دون
مناله الارض ولما شافه حد خراسان ذفرف الله منه عليه الجناحها
الى ان ورد حضرة السلطان فقبله احسن قبول ولقاه احسن
مقول ومفعول ومازال يرفع منه تمويلا وتخويلا وتفخيما وتبجيلا
حتى اعتره فضل الانبساط وعزة الانتساب بمباهة قربته
وهدم رتبته فاستوحش من عارض الاعراض وانشق من
رهق التغيير والانقباض ولاذ بظل الليل هربا وبات يطوي بساط

الارض تقريبا وخببا وامر السلطان بطلبه واتباعه فى وجوه مهربه
فلحق حيث قامت الخيول تعبا ولم تجد السيوف عليه مضربا ففرّ هو على
وجهه ملتجئا الى ابن البنّاء المعروف بابناه لحال بينهما فى الصفاء
معمورة واصول ودّ بالوفاء مأثورة فلمّا استقرّ به المكان وخبر حاله
السلطان كتب اليه فاسترده وخوفه ان يأبى عليه ما بعده فاضطر
الى ردّه واسلامه عن يده وبقى فى الحبس مدة يكابد بؤسا وشدة
الى ان وجد فرصة الانفصال عن رق العقال ففارق معتقله من
حيث لم يطّلع فيه احد ولم يكن ليغنى عنه لولا المقدور وداى
ولا اجل وابت عليه فحاجبته المحنة ان يتم خلاصه ويستتب
له مناصه فاعثر عليه حتى اعيد فى وثاقه وزيد فى ارهاقه
والاخذ بخناقه الى ان شرح الله صدر السلطان لاطلاقه فاستاه

فالسناه لشناة ثانيه واثبت دسينة فادمة وخافية واعادحالة

بالاحسان حالتة ويده على ايدي الاضراب عاليه ودشحه لولاية

جرجان وطبرستان مقصودا بارسلان الجاذب وذوى النجدة

من كماة الرجال وكفاة الابطال لولا ان فلك المعالى منوچهر سبق

بتمام الرأى باظهار الطاعة وعرض ما وراء الوسع والطاعة ولما

حالت حرمة التقرب دون الاختيار عليه استرده السلطان

الى حضرته ليجرى مجرى اركان الدولة واخذ ان العشرة لا يفارقه

في حفله ولا يزايله فى خلوة ولا يقعد عليه وقت ركوب ولا ينفرد

دونه دور كون ركوب الى ان ورد الامير ابو الفوارس بن بهاء الدولة

حضرة السلطان منتزعا عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه

مستظهرا به على معاودة مملكته وارتجاع نبيه ونعمته

فجمعهم ليلة بمجلس دارت فيه الكؤوس وطابت النفوس وجرى

حديث السلف والخلف واعراق من اغرق منهم في الشرف فنطق

دارا بما لو سكت عنه كان اشبه بحق الخدمة وحكم الحشمة ووقت

الاجتماع على بضاع العشرة وحمله وفر الانكار عليه على قصد المرادة

وركوب المخافة حتى تادى به الامر الى ازعاجه من مكانه واستجاعه

نعضته المدل على سلطانه وامر به في غد فرد في العقال وحمل الى بعض

القلاع وقبض على ضياعه فاجريت مجرى الحوزيات تشتغل اسوة

سايرها الى ان سال الشيخ الوزير في بابه فامر بردها عليه معونة له على

مصلحته حاله ومؤنة اعتقاله وذلك في المحرم سنة تسع واربعمائة

ذكر مجد الدولة ابي طالب بن فخر الدولة وقد كان فخر الدولة كتب

الى حسام الدولة ابي العباس تاش وهو بجرجان مخذره اليها عن

عن خراسان على لسان الصاحب بشرة بولادته واجرء الله
اباه في الصنع به على كريم عادته وكان مما كتب اليه وقد رزقني الله ولدا
اكنيته ابا طالب تطيّبا للسعادة واسميته رستم لانه من اسماء نصابه
وارومته فلما اخترمته المنية بايع الناس مجد الدولة الا ان التي
فامت عنه كانت اختا للاصبهبذ نصيرهم وساير مملكة الجيل وهي
في منعة اهلها وعزة من جانب ارضها فتملكت على الديلم
واستاثرت بالامر والنهي والحل والعقد وجرت بينه وبينهما مناوشات
تادت بها الى استنهاض بدر بن حسنويه اليه واستدراك الري
عليه وجرت بينهم مكاوحات افضت بالديلم اولا وباهل الري ثانيا
الى بوس دقاقه ودماء مهراقة وفتن ليس فيها فواق من افاقة
وعن قريب بعود الخلاف جذعا وحبل الصلاح منجذبا منقطعا

فتنتج عنه ابادة الرجال واستباحة الاموال وشرود الصلحاء في البدد

وضراوة السفهاء بالافساد ولما عرض مجد الدولة بالامر وبما ينقدح

على الروم من شرها الشرا ثر البر في الاعتزال على سمة الاماذه

وجملة الاعتراف لها بالطاعة على العقوق المفضي لمن تحت ولايته

ودعايته الى خطة الاحتباك المشفي بهم على خطة الاجتياح والاستهلاك

فلزم البيت منفردا بالكتب والدفاتر ومنتصبا وجه الفضل لسواد

المحابر وانفرد اخوه شمس الدولة بولاية همذان وقرميسين

وما والاهما الى حدود بغداد ودونت لبدر بن حسنويه اموالا عظيمة

طالما حفظتها صدور القلاع مكنونة وخنقتها خيوط الاكياس

مختومة فلم يلبث الا قليلا حتى استغرقتها صلات الرجال واستفرغها

حقوق الامال نتيجة له في التحقيق بالفضل والتحرف في التبذل ثقة كان

وقد كان ابن فولاذ قد فخم في دولة آل بويه امره وارتفع قدره وانتشر
صيته وذكره والتفت اليه صناديد ديلم ومشاهير الاكراد والعرب
فسال مجد الدولة والكافلة بالتدبير ان ينزلا له عن قزوين طعمة له
ولمن معه ليتفرد بولايتها وجبايتها ويصير ركنا من اركان دولتهما
وظهرا من ظهور حوزتهما يذب عنهما بسيفه وسنانه متى دهاهما خطب
او دخن على نارهما حطب رطب فضنا عليه لضيق رقعة الملك وتكور
ديرة الدخل واوليا اليه بظاهر العذر فقصد اطراف الري على حملة
العصيان يفسدها ويغير دون اهلها سبيل من يمير ويملك عليهما
ما يلي جانبه من قرى وضياع وربع وارتفاع الى ان استغاثا بالاصبهبذ
المقيم بعزّهم فاتاهما في رجراجة فخمة من الجيلية اولى الباس والحمية
فناوشوه القراع وصدقوه المصاع وجرت بينهما في وقعات ملاحم

استلحمت كثيرا من الفريقين واصاب من فولاذ في ساقه نشابة

لحنية فولى فيمن معه على سمت الدامغان حتى الم بها فضم النشر ودم

الرث وعالج المرتب وكتب الى فلك المعالي منوجهر يستمده على عسكر

الرى على ان يقيم له الخطبة وتظهر الطاعة ويلتزم الاتاوة فامده

بالفى رجل يوزن آحادهم بالالاف وازوادهم باضعاف يرون الشرف

فرضا المزمات تحت السيوف المشرفيات والتشريب حقا على من

حاد عن الشرهات ووصل جناحهم بمال قضى به حق القطاعه

اليه واعتماده على ظهر الثقة عليه ونهض لحوالرى حتى اناخ نطاقها

فاعاد الاغارة وبلغ المايرة والمازرة وغادر الديلم بها في ضنك البلاء

وضيقة اللاواء حتى اضطر مجد الدولة ومن ولبيت التدبير الى

اثباته باصفهان فعقد له عليها وخلى بينه وبينها استمالة لقالبه

لقلبه واستعاذة من شره وطارت عند ذلك نعرة الخلاف
عن راسه وذهلت وحرة العناد من صدره واقبل بروض عسكره
على رشاد وسداد ويغل ايديهم دون امتداد الى فساد وصرف عسكر
الامير دون امتداد الى فساد منوجهر وداء هم بذكر صلاح حاله
واستغنائه عن رحاله وعطف الى اصبهان خاطبا لمجد الدولة
على منابرها وذلك في سنة سبع واربعماية وكان نصر بن فيروزان
قد انقطع الى السلطان يمين الدولة وامين الملة فاقام على خدمته
الى ان جعل ناحيته بيار وجومند برسمه فنهض اليهما واقام بهما
يستغلهما ويتوفر عليه دخلهما الى ان دعاه مجد الدولة من الري
فاعتسف البيد اليهما اشفاقا من عسكر شمس المعالي قابوس
وسكانه وعيون ربايا ه ومراصده فلما وصل اليها عرف له حق

قرابته دنوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستجابته فبقي هناك

سنين مرجوعا اليه في الراي والتدبير موثوقا به في التقديم والتاخير

الى ان عثر منه على حالة لبعض المخالفين فقبض عليه وحبس في

قلعة استوناوند وما زال بها محصورا وفي مخلب الامتحان

ماسورا حتى عفي عما جناه ورد ثانيا الى ما تولاه ووافق ما به خلع

الديلم لجام الهيبة لعدم السياسة وانفراد مجد الدولة في ملته

بالدراسة وتبسط الديلم فيما شاؤوا من غصب وقطع ونهب

وكبس ونقب لا يرتدع منهم الا من اشعره الله المخافة او ودع صدره

الرحمة والرافة فانبرى نصر بن الحسن لقمع اولئك الضلال واجتاح

منهم فريقا واوسع آخرين تفريقا وتمزيقا فلما راى القوم ما دهاهم

في اضرابهم من حصده واستيطاله تجمعوا على قصده وقتاله

وقتاله واحاطوا بداره فدافعهم بخاصته مليا ثم انثنى عنهم منهزما

وغادر ملكه فى الدار منهوبا ومغتنما وما زال يضطرب فى محنته الى ان

اتاه يومه **ذكر بهاء الدولة وما افضى اليه امره** قد كان بهاء الدولة و

ضياء الملة بعد ان فتح الله على السلطان سجستان راغبا فى موالاته

خاطبا لمصافاته مؤثرا لمكاتبته حريصا على مقاربته لحكم الجوار الواقع

بين الدولتين واتصفت الحادث بين المملكتين ووافق ذلك

من السلطان رغبته فى مثله من جهته لشرفه بنفسه وسلفه

ولما خبر لهما من الكفاءة فى الملك والملاءة فى سعة الملك سفر

بينهما السفراء على الدوام سدى القربة ولحصاد قوى المودة حتى خلصت

القلوب ونقيت الجيوب وتاكدت العهود وتاحدت الحدود وعندها

احب السلطان ان يجعل المصافات مجاهرة والموالاة مصاهرة

فانهض القاضي ابا عمر والبسطامي شيخ الحديث بنيسابور الى فارس
وهو التليد فضلا والوجيه علما والامام علما وتحقيقا والحسام لسانا
فصيحا ورايا وثقا وصادف من اجلال بهاء الدولة واكرامه واظهار
التطفل عليه في مراسمه ما اقتضته جلالته من اصدره ومساعدة
القدر له في كلما قصده واقام عليه منقولا من مجلس الاحتجاب الى متوسد
الاكرام ومن راحة الاستبال الى عاتق الاكبار غير ان بعيد طاوعه عليه
واتفق منه علة احدثها سوء المزاج بين الفراحة والراح فاعياه
نجح المراد على العارض العايق وقد كان فخر الملك مقيما ببغداد وهو الوزير
والمنصير ومن اليه الراي والتدبير فختم القاضي الى ما قبله ليتفاوضا
فيما يوجب صرف الراي اليه وتاديت العقدة اليه فاتفق مع وصوله
وبايع
استشهاد قضاء الله تعالى بهاء الدولة وانتقال روحه الى جوار ربه

وبايع الناس ولده الكبير ابا شجاع ولقبه القادر بالله امير المؤمنين
لسلطان الدولة واستتبت له طرق الامر واعتدل عليه عمود الملك
وجرى له الطير بالاقبال وحسن المقال ولما عاد القاضي الى ما
قبله لم يملك له من ذاته جوابا يغنيه ولا حوارا يشفيه اذ كان دونه
رسولا الى ابيه فصرفه مجملا رسالته في ورائه الود والوفاء بالف
العهد واشتراك الخلوص بقاصية الجهد مما اقتضاه حكم الابتداء
لغرس الوداد واستثمار الوفاء على ظهر السعاد قد كان الامير
ابو الفوارس بن بهاء الدولة اخو الامير سلطان الدولة مقيما
بكرمان فشجر بينهما اختلاف اقتضى سلطان الدولة تجريد الجيوش
لقصده واستصفاء تلك النواحي واستخلاصها من يده فنهض
هو لملقاومتهم وكف عاديتهم واوقدوا بينهم حربا افنت الرماح اكلا

ونشرا واجتاحت الارواح طعنا وضربا واستمرت الكشفة باتباع الامر

الى الفوارس فانقلبوا منهزمين واقبل ابو الفوارس فيهم نحو سجستان

ثم حضرة السلطان ممتطيا رجاءه ومستنهضا كرمه لوده ووداده

فلما شارفها قد انهى الى السلطان خبر اقباله فامر ابا منصور نصر بن

اسحق النائب عن الامير صاحب الجيش نصر بن ناصر الدين بخدمة

الاستقباله وتكلف الواجب من انزاله ورفاهة احواله وانزال من معه

من طبقات رجاله ونثر عشرة الاف دينار من خاص بيت ماله

فبلغ من ذلك مبلغا شهد من كان شاهد السجستان من قرابها وطرائفها

ان احدا من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف مثله لاحد من اولاد الملوك

ولم يخل ان مثله يسمح به ثنيا المحو فكيف اقطار الصدور واكتسب

ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا عقد بانجم صنائعه واضاء على الشرق

على المشرق بعضه وعلى المغرب سايره ولما وصل الى حضرة السلطان

اوجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال وتلقى عظيم قدره بالاجلال

وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام بكل

ما ينتمى الى قبيل الاكرام ما وقع عند الخاص والعام موقع الاستعظام

ما خلا الهمة التى ترى الدنيا خارجة عن ملكها شعرة من اسعادها

وصوفة من اوبارها وغرفة من لجاجها بل قطرة من امطارها

واقام عليه قرابة ثلثة اشهر ضيفا لا يتميز عن الادنين ارحاما

وشيجة وانسابا قريبة حتى اذا انشط الانصراف والتمس

معونة على عارض الخلاف ارتاح السلطان لما استدعاه فاعطاه

فوق رضاه امولا احفت اقدام اقلام الكتاب واوهب انامل

الحساب وانهض فى صحبته ونصرته واقاصة خدمته ابا سعيد

عبد الرحمن بن محمد الطائي احد مشايخ بابه وافاضل كتابه في رجال

قد تعودوا النصر منذ خدموا رايته فلم يعرفوا وجه الانقلاب الا بالانفال

على الاكفال ثم تحملت صورة اخرى شتوا كلها من طول ما حملت سببا

على الكفل وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم وفي ساير خاصته نحو كرمان

فخلاء عنها من كان ولي عليها علما بعجزه عن المقاومة وافتضاحه

ان تعرض للمكاوحة فان تلك النواحي ملكها اباها من قبل

واقام بها ابو سعيد الى ان قوت تلك الامور ودرت الجبايات المنظور

ثم كوراه وفيمن كانوا برسمه وتحت قيادته وانت على ذلك مدة

من الزمان ثم نمع حشمة السلطان وحرمة الناهضين من اتباع

رايته في امره وسمه بعز عنايته ان يقصد بما يوهم خلافا عليه حتى

اذا عاودت تلك الجيوش غزنة وانفرد الامير ابو الفوارس بالبلد

بالتدبير وارتاش بعد التحسير بقرب سلطان الدولة عسكرا لمنا
لموافقته واستخلاص تلك الناحية عن يده فتلاقيا على حرب
استنابت الفرسان تحكيما الظبى الصفاح فى مخارج الطلى وتحويما السباح الرماح
على موارد الكلى حتى تنقفت الارض من صبيب الاوراد وتمغرت
من رشاش الاكباد وعندها زلت قدم الامير ابى الفوارس قرلى
كسير الا يعرف مبدا ولا دبيرا فانتهى اليه الركض الى همدان حضرة
شمس الدولة فقضى فيه حق القرابة اعظاما لقدره واهتماما بامره
واغتناما لشكره واستعدادا لنصره واقام مدة مديدة على هذه
الجملة حتى استشعر واستعرابه معرود ومقصود والى اخيه سلطان
الدولة مردود فنفر نفار الايم من ضربة القاتل والوحش من
كفة الحابل وفارق مظنة قاصدا قصد بغداد وسنشرح انشاء الله تعالى

من بعد حاله وما انتهى اليه امره مما كان عليه اوله ذكر ايلك الخان

وما انتهت اليه حاله قد كان ايلك الخان بعد الكشفة التي الجئت

عليه بباب بلخ ركب ظهر جيحون وعاد وراءه يضطرب على نفسه

غيظا مما دهاه واسفا على ما اعياه وما زال يعاتب طغا الخان اخاه

ويستنصر قدر خان على ما اوهن من قواه وقوة مراده ومغزاه والقدر

له معاند ولزمان مناكر ومتاكد حتى طرحه الكمد على الفراش وفجعه

عن قليل بطيب حيوته فاستبعه التراب بعد ان جرعه الحرص والاضطراب

همة كانت معلقة بالاثير محلقة على فلك التدبير غير ان يد القدر فوق

يد التدبير وما يصنع المرء بالجد اذا وفق الجد ساقلة التدبير شعر فهبه

دحى يجري لها اليم ماء ولیس لها قطب بما زايد بوها وقد تنتهض

العصفور كثرة ريشة وتسقط اذ ما ريش منها نسورها وقد كانت وفاته

وفاته في سنة ثلث واربعماية وولي مكانه اخوه طغاخان فملاء
السلطان وولاه وهادنه وهاداه منلافيا نزعه لما اخل به اخوه وتوا
من حيث ركب الخلاف ذروه وحاشت من جانب الصين جيوش
لقصد طغاخان وبلاد الاسلام من بلاد الترك وساير ما وراء النهر
تزيد عددهم على ثلثماية الف خركاه لم يعهد الاسلام مثلهم على صعيد
واحد يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم تغيا لهما مصرع اهله واوردهم
كما ورد الهدى محله فاستنفر من حفظ الاسلام حتى جمع عليه
من رجال الترك واحرار الغزاة المطوعة قرابة ماية الف رجل فاستكت
سماع المسلمين من فضاعة ذلك النباء الهايل والنباء المايل وادتاعت
له القلوب والتاعت النفوس وتناصرت الاوعية والذكور وسار
طغاخان مستقبلا من اقبل عليه من جموع الكفرة الفجرة

بنيات مقصوراة على الاستقتال والاستقبال الآجال او ينزل الله نصره

ويظهر حزبه حيث يقول وقوله الحق انا لننصر رسلنا والذين امنوا في

الحيوة الدنيا والتقوا اياما تباعا على ملاحم لم تدر من فتق العروق وضرب

الحلوق وشد الخيول اصوب انواء ام صب دماء ولمع بروق ام وقع سيوف

وظلمة ليال ام رهج نزال وفي كل ذلك يتولى الله عباده بالايد المتين والنصر

والتمكين ونفوا بالصنع المستبين وطلوع النجح مشرق الجبين وتلاقوا اليوم

منصوص عليه على فيصل الحرب فشد لهم أمّ لها نطاقه واداروا على

الفريقين دهاقه فاما اعداء الله فسكروا سكرا استوجبوا به الحدود

بالحدود والبواتك فصُبّت عليهم من لدن لاح جبين الشمس الى

ان ذكت سِرا جاؤها جا وكادت تضيء على قمم الروس ناجا واما اولياء الله

فانتشوا نشوة طربوا منها للضرب فوق الهام والعبث بطلايع الحمام

الحمام لاجرم ان الله حماهم ونصرهم وآواهم واظفرهم فغادروا
من جماهير الكفار زهاء مائة الف عنان صرعى على وجه البسيطة
عن نفوس موقوذة ورؤوس منبوذة وابعد عن السواعد مجذوذة
نهبى للضباع بل جفلى للسباع والوحوش الجياع وافاء الله على المسلمين
مائة الف راس غلمانا كالبدور واللؤلؤ المنثور وجوارى كالحور العين
والبيض المكنون وسوائم غصت بها اقطار البيداء وضاقت عنها
اطراد الدهناء وشرد الباقون ورآءهم تتبعهم السيوف بتل الانعام
وتضربهم ضرب القدار نقيعة القدام وتختطف ارواحهم بايدى
الحمام وتطايرت به البشارات فى ديار الاسلام فنصرت له الوجوه
وضحكت القلوب وعم السرور وتوفر الشكور وتباشرت الدور حتى القصور
والحمد ولطفا من الله تعالى الذي ارتضاه ووعدا ان يصل بيد التا شد

قواه ولم ينشب طغانخان بعد فراغه من هذه الحرب العظيم باسها

الشديد مراسها ان استاثر الله به فنقله الى جواده وبوء له مبوء الصدق

من دار قراره ختما له بالشهادة وختما عليه بالسعادة فورث مكانه

اخوه ابو منصور الاصم صبوه فى التقية وتلوه فى الامور الالهية تبت القدم

في دين الاسلام لا تعرف له جاهلية ولا نتم منه عنجهيته وعجرفته

تقيم الصلوات جماعة ويفرض العدل سمعا لله وطاعة وعم الحال التى

كانت بين طغانخان اخيه وبين السلطان يمين الدولة اظهارا للصفاء

واستعدادا للمواخاة وايثارا للاشتراك على تصاريف الحالات وخطب

السلطان لبيه والى اخيه ايلك كريمة له على ولده الامير ابى سعيد

مسعود بن يمين الدولة فاحبا الاجابة واغتنما القرابة وتردد بينهم

السفراء فى ذلك مدة على التهادى ودوم الحال باتمام الايادي

بافناء الايادي الى ان حقت الحقيقة وتمت العقيدة الوثيقة وانهض
السلطان من خدامه من ثقات بابه لنقل اليتيمة الكريمة فجهزت
وديعة تشاح عليها سكان هذا صدر الملك وذلك ملك الترك
يخيّص بها الشبل بن الليث والاشبل بن الغيث والبحر بن البحر والصباح
بن الفجر الامير الجليل ابو سعيد مسعود بن محمود ونُقلت الى الحضرة ببلخ
وقد صحبها من فقهاء تلك الدولة واعيان رجالها من عدول وائمة للشرق
وارباب المنطق فادّوا امانتي اليد واللسان على ما اقتضت الحال
بين الجنبتين ودفعت الحشمة في ذات البين وامر السلطان اهل
بلخ قبيل الوصول بعقد الآذين وتكليف التجميل والتزيين فبلغوا من
ذلك مبلغا لم يستبق فيه من الوسع مجهود ولا من الرسم مذكور
ومسطور ورأى السلطان بعد ذلك ان يعقد للامير مسعود على هراة

سرة مملكته ونواحيها وسيره اليها بعد ان وصله بمال عظيم

يعده ذخيرة ويوسعه بحمده وزينة فنهض اليها رشيد السيرة

حميد السريرة عادل الطريقة فاضل الخليفة خليفا بالامارة على الحقيقة

وذلك فى سنة ثمان واربعماية ذكر الامير ابى احمد يمين الدولة وامين الملة

جملة ما يمكن الافصاح به والايضاح عنه من حاله وذكر خصاله

قول القايل شعر ان السرى اذا سرى فبنفسه وابن السرى اذا سرى

اسراهما قد جمع الله له من الميل الى خصايص الادب والسعى لمعالى

الرتب والبعد عن مكامن الريب ما دل على انه ابن ابيه شرفا سمقت

على النجوم شرفاته وكرما تعرفت لاهل الفضايل عرفاته خرج من حضن

الكفالة خروج الابريز من جمرات السبايك والهلال من تحت الشعاع

المتسايك ولم يعرف له طول ايام الايقاع عن الارتفاع الى البقاع تصرفا

تصرّفا على كرم الطباع وتقيّدا للمأثور بالسماع وبدلا لما لفظته
يد الطباع وارتياضا بآداب الثقافة والمصاع وتمرين البيان بين القلم
والعنان وتعويل اللسان ذكر الاصابة والاحسان لا جرم انه لما ترع
بداء برد الحداثة ولبس خدّاه طوق الشهامة راى السلطان ان يوفيه
حقّ النبوّة ويوتيه شرط المروّة ويجذب بضبعه الى حيث اقتضت
الفراسة فيه واستدعته العناية به والرعاية له فزوّجه كريمة
الامير ابي نصر الفريغوني والى الجوزجان وهي التى تجمع الى الاصالة جلالة
والى الكفاية كفاءة والى النعمة همّة وعقد له اعمال الجوزجان كما عقد
الامير الجليل ابي سعد مسعود على هراة وهي التى وليها آل فريغون
وهم الذين حكوا في العزّة افريدون وفي الهمّة المنجنون وفي الغزارة
والسماحة جيحون وولى ابا محمد الحسن بن مهران كفاية اموره وولاية

تدابيره فبرز اليها بروز السيف من يد الصاقل وهمى على اهلها
همى السحاب الباطل واحياهم بندى العدل الشامل وعدل في العطف
عليهم بين الايامى والارامل فتعلقته قلوب الخاص والعام وكفته
النفوس مؤنة الاستخدام ولما راى السلطان حميد اثره ورشيد
مختبره ازداد شغفا بآثاره وحرصا على اصطناعه واثاره فلم
يخل من حبد الانعام ومزيد حفاوة واكرام وسياتى خبر الاخوين
الجليلين في موضعه من بعد باذن الله تعالى ذكر التاهرتي الرسول الوارد
من مصر قد كان السلطان يمين الدولة منذ شحذ الله عزيمته
لغزوات الهند مجيبا سنة ابيه ومقتفيا نهج آثاره مساعيه بالحثا
على طريق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام ماحيا للبدع
المعترضة عليها في سالف الايام استنصارا منه للدين واستظهارا

٢٨٣

واستظهارا على قمع الملحدين فقرء الكتب الكثيرة وسمع التاويل وتتبع

القياس والدليل وعرف الناسخ والمنسوخ والخبر الصحيح والموضوع وتلقن

من اصول الدين ما لم يستجز معه في الدين بدعة ورای كلما خالف

ظاهره نكرا وشنعة والقى الشيطان في عمادا تر عايا بخراسان انوا ينتحلون

المذهب الباطني المنسوب الى صاحب مصر وظاهره الرفض وباطنه

الكفر المحض بتاويلات موضوعة تودى الى رفض قواعد الدين وحل معاقد

الحق واليقين وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض والنقض

فامر بوضع العيون عليهم والصاق الطلب بهم وعثر على رجل كان سفيرا

بين المذكور وبين اوليائه والملتئين لمذاهبه يعرف القوم بسيماهم

واسماهم فنص على عصابة منهم مختلفي البلدان والاوطان فاستخصوا

الى الباب ورجموا تحت الصلب بالاحجار ولم يزل يفعل مثل ذلك

باصرابهم ومن كان يخرج له ذكر بالقابهم حتى التقطهم حجارة الرجم

والرض عن بساط الارض وقد كان الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحاق

بن محمشاد زعيم اصحاب ابي عبد الله بن كرام عزيز الفضل كبير المحل

مذكورا في القاصية والدانية بالديانة الوافية والامانة البادية الصافية

مشهورا باليقظة على الفرق الغالية والبدع الجافية فوافق راى السلطان

على احتياج من ركب ثنيات الطريق وعدل في العدول عن محادق

النعم مساعدة التوفيق وسهمه على عدة زعموا انهم ضلال ولهم في

فضول القول وهذه المحال محال فسلكوا في اصفاد الاخرين ونصبوا

عبرة للناظرين وازداد ابو بكر فيما تقرب به من ظاهر المحاماة على

دين الله والمراماة دون حق الله وتطهير بيضة الاسلام عن

كل ذي ريبة بعيدة او قريبة حشمة اطمعت فيه الرجال